

ثم إن الرافعي وإن كان قد خص بالذكر ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الأدب الإسلامي مما يتفق مع فكرته في اعتبار القرآن حادثة أدبية يؤرخ الأدب على أساسها ، إلا أن حكمه على شعر هذه الفترة أو الفترات على طولها وامتدادها عبر التاريخ كله بأنه لم يباين أشعار العرب قبل ذلك لا يتفق مع ما يتتظر لهذه الحادثة الأدبية من تأثير في الحياة الأدبية ودفع لاتها ، وهو ما لم ينكره الرافعي ، وإنما أكد في مواضع كثيرة من كتابه (١) .

ومما يكن من أمر ، فأقل ما يمكن أن نخلص إليه من منهج الرافعي في تناول تاريخ آداب العرب — وهو المنهج الذي أدى به إلى معارضة فكرة تقسيم العصور الأدبية متفقة مع العصور السياسية — أن ذلك لا يشمل بين ما يشمله — فترة البعثة النبوية لوقوع هذه الحادثة الأدبية التي عاصرتها بكل ما أنارت من هزات في الشعور وانقلاب في الفكر والضمير مما يتصل بالأدب بصورة أو بأخرى . ولهذا فإننا سواء أخذنا بتقسيم العصور الأدبية على أساس من الحوادث الأدبية أو أخذنا بذلك على أساس من التقسيم السياسي ، فالمنهجان كلاهما يؤديان فيما يخص عصر البعثة إلى نتيجة واحدة دون تناقض أو تضارب .

فالإسلام قد تمخض عن حادثة أدبية بدأت عصرأ جديداً على طريق التاريخ الأدبي الذي تمت جذوره في أعماق الجاهلية عبر الضئفة الأخرى من الحياة العربية . والإسلام أيضاً قد أنشأ ديناً وأوجد دولة ، وكان حادثة

(١) بل ان الرافعي في حديثه عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم يشير إلى العصور التي من الممكن أن ينض بها النوابع المعدودون من أرباب الكلام ، وعلى ذلك تكون هذه العصور عصوراً بهم ، يقول « وبقي سر من أسرار هذه البلاغة المعجزة نختم به الباب ، وهو شيء لا نراه يتفق إلا في قليل من كلام النوابع المعدودين الذين يكون الواحد منهم تاريخ عصر من عصور أمته ، أو يكون عصرأ من تاريخها ، وهو إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة لا على طريقة المنطق » . (الجزء الثاني ص ٢٨٠) - وما نظن تاريخ الأدب العربي يخلو من بعض هؤلاء النوابع المعدودين .